الرّواية العربية في ضوء المقاربة الاستشراقية قراءة في آراء روجرآلن

The Arab novel in light of the forward approach Reading in the opinion of Roger Allen

د. بن يطو محمد الغزالي

المركز الجامعي سي الحواس بريكه

الملخص :

تندرج هذه الدّراسة ضمن النقد الروائي ولكن من منظور استشراقيّ لصاحبها المستشرق الأمريكي ذي الأصول البريطانية روجر آلن وذلك من خلال كتابه (الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية) ؛إذْ تناول بالتحليل و النقد نشأة الرواية العربية منذ قرنين من الزمن إلى غاية نهاية القرن الماضي مع تتويج نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام1988 تعرّض فيها الباحث إلى البدايات الأولى للكتابة الروائية وإلى أهمّ مراحلها ، مع ذكر أهم الروائيين العرب بمختلف اتّجاهاتهم الأيديولوجية وأهمّ الموضوعات التي عالجوها من منظورات شتى ، والتي تساير التّحوّلات السياسية والثقافية والأيديولوجية والاقتصادية للمجتمعات العربية .

الكلمات المفتاحية :

الاستشراق – الرواية العربية – النقد الروائي - التّحوّلات السياسية والثقافية والأيديولوجية .

Summary:

Included this study in literary criticism, but from the perspective of ahead of its owner, an American Orientalist tail of the British asset Roger Alan through his book (Arabic novel introduction to the history and cash); they are analyzed and the point of emergence of the Arabic novel since two centuries to the very end of the last century with the coronation of Naguib Mahfouz the Nobel Prize for Literature at know where the seeker to the very beginnings of writing fiction and the most important stages, with the mention of the most important novelists of the Arab of the various the direction of their ideology the most important topics that have addressed it from various perspectives, which contribute to the challenges the political, cultural, ideological, and economic development of Arab societies.

Keywords:

proselytizing-Arab novel-narrative criticism-political, cultural and ideological transformations.

مقـدمة:

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ارتبطت الرواية منذ ظهورها بالمدينة فهي فنّ مديني بامتياز ترصد حركة المجتمع في تناقضاته التاريخية ، وربما ما أهلها لذلك هو الإمكانيات التي تضطلع بها كجنس أدبيّ متميّز عن غيره من الأجناس الأدبيّة النثرية الأخرى ، ولأنّ " تطوّر الأشكال الأدبيّة ، والرواية هنا بصورة خاصة ليس أكثر من انعكاس للتطوّر الاجتماعي نفسه " (لوكاتش، 1989) (1)،ولا يمكن بأيّ حال أن نفصل الرواية عن الواقع الاجتماعي والسياسي للمجتمع فهي صورة مصغرة تعكس وعي كاتبها الذي يرصد نبض المجتمع في حركاته وسكناته في سياق نضاله المستميت من أجل التّطوّر والازدهار والبقاء " كتابة الرواية لا يمكن أن تنفصل عن وعي الكاتب وخياله ، وهي بذلك تنصب في المعادلة التي تشدّد على حضور المرجعي في النص الأدبي حضورا متميّزا بقيمته " (قريبيع، 2004) (2).

وانطلاقا من هذا الموضوع ارتأيت أن أتناول في ورقتي البحثية هذه موضوع الرواية العربية من المنظور النقد الاستشراقي ؛ من خلال كتاب (الرواية العربية ،مقدمة تاريخية ونقدية) الصادر عام 1982 للمستشرق الأمريكي ذي الأصل البريطاني روجر آلن Roger Allen (1942) ، وهو أستاذ الأدب العربي في قسم الدراسات الآسيوية والشرق أوسطية برتبة بروفيسور، اشتغل في البداية أستاذا في الجامعات البريطانية بعد حصوله على شهادة الماجستير ثمّ انتقل إلى فيلاديلفيا بالولايات المتحدّ الأمريكيّة؛ حيث اشتغل بها أستاذا مساعدا للغة العربية بجامعة بنسلفانيا ، انتخب رئيسا للجمعية الأمريكية لمدرسي اللغة العربية عام 1977 (العقيقي، 1980)(3)، ويُعَدّ أول طالب حاصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة أوكسفورد في بريطانيا عام 1968 ، ومن بواكير أبحاثه ، دراسة حول : (حديث عيسى بن هشام للمويلحي دراسة عصر في ظل الاحتلال البريطاني) والصادرة عن دار نشر تابعة لجامعة نيويورك عام 1974 ، (السيد، 2013)(4)، كما له عدّة بحوث في الرواية العربية ، اختار روجرآلن من البداية النقد الروائي العربي حقلا لأبحاثه ، وقد تتبّعنا جهوده النقدية العربية من خلال كتابه (،الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية) والوقوف على مقارباته النقدية ذات الطابع الاستشراقي ، فالمستشرقون ليس كلهم خير كما ليس كلهم شرّ .

فمفهوم الاستشراق عند المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد من خلال كتابه "الاستشراق ونقد الاستشراق" الصادر عام 1978 ، والذي شخّص فيه الاستشراق من منطلق مركزيته الغربية الاستعلائية، كبنية سياسية واجتماعية مهيمنة على الشرق ، منطق القوي المستبد والضعيف المستكين ؛ حيث قسّم العالم إلى سادة أقوياء وعبيد ضعفاء ، " فالشرق تمَّت شرقنته من قبل الغرب؛ حيث يذهب سعيد إلى أنَّ الغرب هو الذي حدَّد وفصَّل ومايَز بين بنيتين تم تعريفهما على أنهما شرق وغرب. ففي افتتاحية كتابه، يقتطف سعيد مقولة دالة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكارل ماركس؛ حيث يقول ماركس عن الشرقيين: "إنهم لا يستطيعون أن يُمثّلوا أنفسهم؛ إنهم يجب أن يُمثَّلوا" ، لقد اعتمدَ سعيد على العديد من الكتابات الاستشراقية في صفحات كتابه منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن مثل كتابات اللورد بلفور، وموسوعة "وصف مصر"، وروايات فلوبير؛ لكي يُبرهن على علاقة القوة والهيمنة بخطاب الاستشراق منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن ، المهم أن تتشكل المعرفة مصحوبة بالقوة العسكرية والسياسية، ليقبل باستعلاء واستعباد الغرب له " (الغافرية، 2020)(5)

وحتى نلتزم بخطية الموضوع ولا نقع في متاهات موضوع الاستشراق ، وسأكتفي بما أشرت إليه سابقا، ما دام الأمر يتعلّق بالرواية العربية التي زحفت على جغرافيا الشعر، وجعلته يتراجع أمام المدّ السرديّ ، ربّما لكون الشعر يرتبط بنمط من الحياة تختلف عن حياة البداوة التي لازمها العرب طويلا ،بينما الرواية ترتبط بإيقاع المدينة وتعقيداتها الاجتماعية والثقافية وتستجيب في نفس الوقت لتطلّعات الإنسان المعاصر ولحاجاته الاجتماعيّة " الرواية لا تعبّر عن طبيعة البيئة العربية وحدها ، بل تطرح قضية الإنسان بشكل عام ، وهي تخلو من تعقيدات الشعر وتهويمات المسرح، وتكشف عن خصائص الأديب والمجتمع معا " (السيد، 2013، صفحة 186) (6)

وذهب روجر آلن إلى أنّ الرواية يجب أن تضطلع بأمرين هامين ، أحدهما موضوعيّ والثاني فنّي وهما البعد الإنساني،و خاصية الابتكار والإبداع ،فلا تركن الرواية إلى ما هو تقليديّ مستهلك ،" أن يكون العمل مبتكرا وأصيلا وأن يكون لا يُكرّر لا ما يُردّده معظم الناس إمّا بحكم الحاجة أو الاضطرار (آلن) (7)، لأنّ هناك بعض المواقف الجاهزة مسبقا وبعض الرؤى النّمطيّة التي تشكّل صورة الإنسان الشرقي و العربي على وجه الخصوص بعيدا عن المعايير الواقعية و الموضوعية فـ " تقتصر جهودهم على الجوانب البالية والميتة من الحضارات الشرقية (العروي، 1970) (8)، ويذهب روجر ألن إلى أنّ الرواية العربية عرفت ازدهارها و تألقها مع تتويج نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام 1988 .

ويعلّل ذلك بالكتابات الكثيرة التي كُتبت عن نجيب محفوظ باللغة الإنجليزية" فقد بلغ عدد المقالات والدراسات التي كتبت عن نجيب محفوظ بعد حصوله على الجائزة في بريطانيا وحدها أكثر من ثلاثين مقالا وبحثا كتبها مستشرقون في الدوريات الإنجليزية فقط (السيد، 2013) (9)، ولأنّ أعمال نجيب محفوظ خاصة رواياته الواقعية الاجتماعية تتمحور حول الطبقة الوسطى ، والحارة واستحضار التاريخ الفاطمي خاصة ،فهي تجسّد الشقاء الإنسانيّ بكلّ تقاسيمه في مصر ، وبهذا سعى دوما " أن يكون مهتمّا بقضايا الإنسان وهموم الجماعة (آلن)(10)، ويرى روجر آلن من جهة أخرى أنّ الرواية تتوفر على إمكانيّات تعبيرية وتقنيات سردية تجعل منها " الأداة الوحيدة القادرة على استيعاب تناقضات المجتمع وصراعه مع لحياة فهي تمتلك إمكانات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تخييلية وطاقة سردية تجمع بين ما هو اجتماعي وتربوي ونفسي وفلسفي في نفس الوقت (آلن) (11) ،وقد بحث جاهدا هذا المستشرق عن مخرج لتأثيل مرجعي للرواية العربية من خلال بعض المسرودات التراثية العربية ، التي وصلتنا ، ومهما يكن فالرواية العربية الحديثة هي امتداد طبيعي بشكل أو بآخر للأساطير والملاحم والسيّر والحكايات الشعبيّة والمرويات، والقصص والمقامات وكل الأنماط السردية المتشابهة (آلن)(12) .

فالمخيلة العربية كانت وراء إنتاج لأكبر منظومة سردية في العالم ، من خلال قصص (ألف ليلة وليلة) التي ترجمت إلى أغلب لغات العالم ، ولما تحتويه من عجائبية في طريقة الحكي المبتكرة تتناسل الحكايات فيها بطريقة تكاد لانهائية من طرف الساردة شهرزاد وهي تواجه وحشية شهريار الذّكوريّة .وقد سعى المستشرق روجر آلن أن يحفر في تاريخ الرواية العربيّة والبحث عن جذورها بداية من جهود بطرس البستاني (1883/1819) ،حتى صدور الرواية الأولى للكاتب المصري محمد حسين هيكل (1956/1888) في مطلع القرن الماضي في مصر ، المعنونة بـ (مناظر وأخلاق ريفية)، وبتوقيع مستعار (مصري فلاح) ، وبعد أن لاقت استجابة وقبولا من المجتمع المصري غيّر لها الكاتب عنوانها وأطلق عليها اسم (زينب) الذي تعرف به اليوم كما أفصح هو الأخر عن اسمه الحقيقي، ويرى روجرآلن أنّ هذه الرواية تستوفي عناصر الرواية الفنية المتعارف عليها في الغرب ، فهي أكثر نضجا فنيا ، في مصر التي يعدّها نقطة جغرافية مركزية في نشأة الرواية العربية الحديثة ؛ ففيها اكتملت ملامحها جنسيّا وأدبيّا. " (باختين، 1987)(13)، غير أنّ الناقد المصري جابر عصفور له رأي مختلف عن رواية (زينب) ففي قوله : "وبعبارة أخرى كانت رواية (زينب) رواية البداية الأولى الجذرية من حيث التأثير لا السبق التاريخي " (عصفور، 1999)(14) وبعد عملية مسح لتاريخ الرواية العربية لما يقارب حوالي قرنين من الزمن تبيّن لروجر آلن أنّ الرواية العربيّة مرّت بثلاث مراحل أساسيّة وهي : " مرحلة البدايات الأولى المرتبطة بالنهضة العربية الحديثة وبتطوّر تقاليد النقد الأدبيّ فيها ، ومن ثمّ مرحلة المحاولات القصصية المبكرة في فترة مابين الحربين العالميتين ، وأخيرا مرحلة نضج الرواية العربية التي يحدّدها بين العام 1939وحتى تاريخ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب عن ثلاثيته المشهورة سنة1988م " (ياسين، 2019)(15) ، ثمّ راح الباحث يتقصّى المواضيع التي تناولها الروائيون العرب من خلال قراءة كرونولوجية ؛تمتد من النشأة حتى تألّقها نهاية القرن الماضي ، وهي مواضيع متنوعة ومتّصلة بحركة المجتمع التاريخيّة و السياسية والثقافيّة والأيديولوجيّة ،وصنّفها وفق رؤيته حسب أهميتها على النّحو الآتي :

أولا . الصراع العربي الإسرائيليّ :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذْ تأتي القضية الفلسطينيّة في أولوية اهتمامات الشعوب العربيّة والتي مازالت قضية شائكة على المستوى الدولي بل زادت تعقيدا أكثر في عصرنا ،ومن الروائيين العرب خاصة الروائيين الفلسطينيين نذكر : غسان كنفاني في رواية (رجال من الشمس) ،وجبرا إبراهيم جبرا في (السفينة)، وإميل حبيبي في (سداسية الأيام الستة)،والروائية سحر خليفة في روايتها (لم نعد جواري لكم) وغيرهم . (ياسين، 2019)(16)

ثانيا . قضية الثورة والاستقلال :

وهو ما اشتغل عليه العديد من الروائيين العرب بحكم أنّ أغلب الدّول العربية كانت ترزح تحت نير الاستعمار ، وتحرّرت حديثا نذكر في مقدّمتهم نجيب محفوظ ، في الثلاثية (بين القصرين)،(قصر الشوق)،(السكرية) وهي رواية ملحمية توثّق لنضال الشعب المصري ضدّ الإنجليز وثورة 1919، والروائي المغربي عبد الكريم غلاّب في (دفنّا الماضي)، والروائي الجزائريّ الطاهر وطار في رواية (اللاّز) التي يروي فيها التّحوّلات البنيوية التي تعيشها الجزائر المستقلّة واصطدامها بإرادة الطبقة الطفيلية المحسوبة على العهد البائد المستفيد من عهد الاستعمار غائب طعمة فرمان في (خمسة أصوات) ، واللبناني توفيق يوسف عواد في روايته (الرغيف)، والروائي السوري حنا مينه في (الشراع والعاصفة) وغيرهم (ياسين، 2019)(17).

ثالثا . توظيف الحرب الأهلية اللبنانية :

وهذا الموضوع اشتغل عليه الروائيون اللبنانيون دون سواهم نذكر منهم ،توفيق يوسف عواد (طواحين بيروت)،وغادة السمان في (كوابيس بيروت) و إلياس خوري في (الجبل الصغير) ، ومن العرب الروائي المصري صنع الله ابراهيم (بيروت بيروت) ورواية (1967).

رابعا . إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب:

وهو ما يمكن التعبير عنه بالصدام الثقافي والحضاري بين (الغرب والشرق) خاصة بين الدول المستعمَرة (بفتح الراء) والدول المستعمِرة (بكسر الراء)، ومن أشهر الروايات التي جسّدت هذه الظاهرة ، رواية (الحي اللاتيني) ليوسف إدريس، ورواية(موسم الهجرة إلى الشمال) للروائي السوداني الطيب صالح ، هذه الأخيرة التي تعدّ واحدة من أكثر مائة رواية مقروئية في العالم ، و(المرأة والوردة). للروائي المغربي محمد الزفزاف .

خامسا . التّحوّلات البنيوية للمجتمع العربي(بعد اكتشاف النفط) :

وأهمّ الكتّاب العرب الذين يعكسون هذه المرحلة بدقّة هو الكاتب العربي السعودي الأصل عبد الرحمن منيف في ، (النهايات)،و(سباق المسافات الطويلة)،ثم خماسيته الشهيرة (مدن الملح) وهي (التيه)،(الأخدود)، (تقاسيم الليل والنهار)، (المنبت)، (بادية الظلمات) .

سادسا . العلاقة بين الريف والمدينة :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ تحرير الأرض لا يعني أبدا تحرير الإنسان ، فتشكيل وعي جديد للإنسان ما بعد التّحرّر من الظاهرة الاستعمارية مسألة في غاية المشقة ، سواء تعلّق الأمر بالمرأة أو الرجل ، ومن هنا يأتي دور كثير من المؤسسات لتلعب دورا نضاليا محورا وفي مقدّمتهم التّعليم ، لتحرّر الإنسان من مخلّفات الماضي " تتصل بالأرض وبالمرأة وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل ، كما تعالج الدّوافع الشخصية والتصرفات التي تحرّك الإنسان وتقوده إلى مصيره ثم تعرض لجانب الشر في الإنسان وصراعه الدائم ضدّ رواسب الماضي " (الركيبي)(18)،وترتبط هذه الروايات بالمكان كتيمة ثابتة في الرواية ومن خلالها يجسّد الروائي طبيعة الصراع بين المدينة والريف كأفكار وأيديولوجيات تقتضيها طبيعة الظروف ، فعادة ما ترتبط البرجوازية بالمدينة وما يتولّد عنها من صراع طبقي من منظور الأدبيات الماركسيّة ، ومن أشهر الأعمال الروائية في هذا الموضوع رواية عبد الرحمن الشرقاوي (الأرض) ،ورواية يوسف إدريس (الحرام) ، وصنع الله إبراهيم (نجمة أغسطس) وغيرها .

سابعا . الدور الاجتماعي للمرأة العربية :

نادى كثير من التنويريين العرب بتحرير المرأة العربية من الذهنيات الماضوية وأول ما طالبوا به تحقيق المساواة بين الجنسين خاصة في ميدان التعليم ، وقد لاقت هذه المطالب استحسانا من فئة من المجتمع ومعارضة شرسة من فئة أخرى ، لكن كانت هذه الجهود هي البداية التي ظلّ أصحابها يناضلون من أجلها حتى عنت إلى الوجود أقلام رائدة في الكتابة منهن الكاتبة مي زيادة، ، وبنت الشاطئ المعروفة بـ (عائشة عبد الرحمن) منيرة البعلبكي .

ثامنا . الحرية الفردية في المجتمع :

قضية الحرية في المجتمع قضية جوهرية ، فهي نضال دائم خاصة في ظل المجتمعات العربية التي يسيطر عليها الاستبداد السياسي ، ولذا اصطدم بعض الروائيين بإرادة السلطة السياسية ، نتيجة القمع السياسي فكان السجن أو النفي مصيرهم ، ومن هذه الروايات، نذكر رواية (السجن)1972 لنبيل سليمان ،ورواية (الوشم)1972 لعبد الرحمن مجيد الربيعي ، (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف،(تلك الرائحة) لصنع الله إبراهيم ، وغيرها من الروايات التي ظلّ أصحابها يقاومون من أجل غد أفضل (الركيبي)(19) .

ومن أهمّ النماذج الروائية الناجحة التي وقع عليها اختارها روجر آلن أغلبها كتب بعد هزيمة حزيران 1967 ،نذكر ما يلي :

1). **ثرثرة فوق النيل (1966)**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للروائي المصري نجيب محفوظ (1911. 2006) كتب هذه الرواية في منتصف الستينيات من القرن الماضي، وفي ظلّ الإرغام الأيديولوجي الناصريّ، والقمع البوليسي لكل صوت معارض ، لجأ نجيب محفوظ إلى التّرميز في طرح رؤيته السياسية لنقد الظروف الاجتماعيّة والتاريخية التي تمرّ بها مصر الثورة ، وقد اختار الكاتب كعادته شخصياته من الطبقة البرجوازية الصغيرة ؛ إذ تلتقي مجموعة من المثقفين المصريين في إحدى العوامات في نهر النيل في القاهرة، يتعاطون الحشيش في حالة من الإحباط النفسي بسبب الأوضاع السياسية التي تعيشها البلاد .

2)ما تبقى لكم (1966)

للروائي الفلسطيني غسان كنفاني (1936 . 1972)، كتبها بعد روايته الأولى (رجال من الشمس) تجري أحداث الرواية بعد احتلال عصابات اليهود لفلسطين ، تسرد قصة معاناة أسرةٍ فلسطينية لاجئة من يافا لجأت إلى غزة ، وترتّب عن هذا النّزوح القسري تشتّت في أبنائها ولم يعد الواحد منهم يعرف مصير الأخر ، الشخصية المركزية في الرواية هي شخصية (حامد)، شاب طموح يمثل فلسطين في صورتها البائسة جراء نكسة 1948م لم يتحمّل ما يجري حوله بهذه السرعة وهذا التواطؤ الدولي والإقليمي ، أمّا الشخصية الثانية فهي (مريم) ،شقيقة حامد ، فقدت كلّ شيء ؛ فبضياع أرضها ضاعت آمالها ومستقبلها ، وانخرطت في حياة ملؤها الشقاء والبؤس . أمّا الشخصية الثالثة ، فهي شخصية مختلفة تماما يمثلها العميل زكريا ، فهو من ساعد الإسرائيليين على مكان اختباء سالم ، واغتنم فرصة غياب حامد عن البيت ليغتصب أخته (مريم) ، ولكن هذه الأخيرة لم تستسلم فقاومته بشدّة وتمكّنت من قتله لتنتصر لنفسها وشرف المرأة الفلسطينيّة ، وربما أراد كنفاني بذلك أن يعطي رمزية للمرأة الفلسطينية التي تمثّل بشكل أو بآخر الأرض الفلسطينية العصية على العدو الغاصب .

3)عودة الطائر إلى البحر (1969)

للروائي حليم بركات قارئ (1933) هذه الرواية يصادف كثير من العجائبية المستوحاة من التراث الهولنديّ ، فالطائر هنا يحمل رمزية الفلسطيني الذي تتقاسمه المنافي في العالم ، والبحر هو المنفى القسري وما له من مخاطر على مَنْ ركب أمواجه الهائجة ، أمّا شخصية (سانتا)، هي الأرض الوفية لأصحابها، هي فلسطين التي بقيت صامدة تنتظر أهلها مهما طال الزمن ومهما كانت الوعود والمؤامرات الدولية التي تُحاك عليها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4). **موسم الهجرة إلى الشمال** (1966)

للروائي السوداني طيب صالح (1929 . 2009) عرض فيها الروائي سيرة مصطفى سعيد الشخصية المركزية في الرواية، الذي ينحدر من قرية فقيرة لكنه تمكّن من التّفوّق على أقرانه في الدّراسة ، ممّا أتاح له أن ينتقل إلى الدراسة في بريطانيا ويوظّف في إحدى جامعاتها كأستاذ في الاقتصاد ، لكن عقدة الشرقي ذي البشرة السمراء ظلّت تلاحقه من خلال مغامراته النسوية ، التي أفصحت عن نفسيته المريضة، من خلال معاملاته مع الأخريات فمستواه العلمي ومكانته الأكاديمية لم تشفعا له في المجتمع البريطانيّ ، ويجد نفسه في الأخير سجينا بسبب جريمة قتل لمواطنة بريطانية شقراء أساءت معاملته وعيّرته بطريقة دونية ،عاد الرجل إلى وطنه بعد أن استنفد عقوبته ,أعاد الزواج ثانية من إحدى بنات القرية، ومات غريقا في النيل في ظروف غامضة .

تطرح رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب وبين المُستعمَر والمُستعمِر وبين الثقافة العربية الإسلامية المحافظة و الثقافة الإنجليزية المسيحية المتحرّرة ، فهي تُصنّف عند البعض ضمن مشروع الرواية مابعد الكولونيالية (Post-colonialisme) .

5) **أيام الإنسان السبعة** (1969)

تجري أحداث رواية (أيام الإنسان السبعة) للروائي المصري عبد الحكيم قاسم (1935 . 1990)في الريف المصري ذي الطابع الفلاحي وحيث الفقر والأمية ، فيقضي الفلاحون كعادتهم معظم يومهم يشتغلون في الحقول والمزارع ، وبعد يوم من العناء والتعب يستقبلون مساؤهم بحضرة الدراويش، وما يصاحبها من الذكر والإنشاد ،وهم يتطلّعون في نفس الوقت إلى اليوم الذي يزورن الشيخ أحمد البدوي في مدينة طنطا ، و هي تجربة روائية مختلفة تسلط الضوء على حياة مغمورة لفئة من الشعب المصري تعيش في الهامش .

6) **السفينة** (1970)

الروائي الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا(1919 . 1994) ،تتحدّث عن جيل فلسطيني يعاني الضياع والشتات يؤثّث فضاء أحداثها ذاكرة الشخصيات المحصورة في مساحة السفينة التي رغم ضيقها فهي تتسع لتروي تجارب أصحابها من الفلسطينيين بمختلف تجاربهم وتطلّعاتهم .

7) **رباعية إسماعيل فهد إسماعيل** (1973/1970)

للروائي الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل (1940 . 2018) رواية " (كانت السماء زرقاء) 1970 ، و (المستنقعات الضوئية)1971 ،(الحبل) 1972 ، و(الضفاف الأخرى) 1973 تتمحور القضايا التي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالجها الرباعية في القمع السياسي ، وتأسيس لمجتمع بوليسي قائما المطاردة والمراقبة والاعتقال ، فكان مصير المثقفين السجن أو المنفى القسري ، والتّهم القائمة على مجرّد الشبهات أو الوشايات ،ومن منطلق أيديولوجيّ ، جسد الروائي موضوع الصراع الطبقي في المجتمع ، وما يصاحبها من دعوة إلى التّحرّر وحرية الفكر ..

8) الزيني بركات (1969)

للروائي المصري جمال الغيطاني (1945 . 2015) ، تجري أحداث الرواية أواخر حكم الدولة المملوكية في القاهرة وقبل أن تؤول الأمور إلى الدّولة العثمانيّة الجديدة ،تتحدث هذه الرواية عن المجتمع البوليسي الذي يعيش تحت تأثير الخوف والإرهاب وتعذيب الناس وتهديدهم بالسجن ، الذي تديره أجهزة الدولة القمعية ، كل هذه المظاهرة التي كانت تصنع مشهد حكم المماليك ، ,أراد الكاتب استحضار تلك الوقائع التاريخيّة لإسقاطها على الواقع المصري المعيش من خلال الشخصية المركزية الزيني بركات ، الذي تولى شؤون الحسبة في البلاد وما ترتب عن هذه الولاية من ظلم وقمع وفساد في حق الرعية .

9)الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل (1974)

للروائي الفلسطيني إميل حبيبي (1922 . 1996)، من كتّاب الخط الأخضر استوحى شخصية سعيد المعروفة اختصار بـ (المتشائل) التي نحتها من لفظي (المتشائم) و(المتفائل) وهو جنس اجتماعي ثالث فلا هو متشائم ولا هو متفائل ، وهده الشخصية المحوريّة نتاج معاناة الإنسان الفلسطيني تحت حكم الاحتلال وضغوطه النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية على الإنسان الفلسطيني المسلوب من أدنى حقوقه الإنسانيّة ، فجاءت أحداث الرواية مشبعة بأسلوب السخرية والتهكم المستوحاة من قيمنا التراثية السرديّة العربية .

10) النهايات (1979)

تطرح رواية عبد الرحمن منيف (1933 . 2004)، طرحا أنطولوجيّا الذي يطرأ نتيجة التّحوّلات المكانيّة التي تعرفها الصحراء في مقابل إرادة الإنسان المستهترة بقيم الفضاء الصحراوي وتكون الغلبة في الأخير للصحراء ويلقى الإنسان نهايته ، فكانت قرية الطيبة هي مشارف الصحراء هي مكان النهايات ، وهذا ما يفسره الدكتور محمد عبد الله القواسمة في قوله :" تناولت رواية النهايات للروائي عبد الرحمن منيف موضوع التغيير والإنسان، من خلال علاقة الإنسان بالبيئة من حوله وخاصة البيئة الصحراوية، ويكون التغيير في الرواية عندما تتحطم وحدةُ الإنسان مع الطبيعة والحيوان، فيضطر الإنسان تحت وطأة القحط إلى العودة إلى عصر الصيد حيث يصبح فيه الإنسانُ قاتلًا للحيوان، مما يسبّب اغترابَ عساف بطل الرواية فيصرخ: (إن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان في هذه الأيام يمتلك روحًا شريرة لا تمتلكها الذئابُ أو أيةُ حيوانات أخرى) ، ومأساة عساف هي مأساة قريته الطيبة التي لا تلبّي لها السلطات مطلبها في إنشاء سد يوفر لها المياه. فتظل بلدة مسكينة إذا أمطرت الدنيا وجدت لقمتها، وإذا أمْحَلت مات الناس جوعًا!

من الملاحظ أنّ العلاقة الجدلية بين الصحراء والإنسان في رواية منيف تنتهي باندحار الإنسان أمام الصحراء، فرأينا الإسراف في قتل حيوانها، والاستهانة بقوتها وجبروتها، وعدم الانتباه إلى قوانينها وعدم اختيار الطريقة السليمة في التعامل معها أدى ذلك كلّه إلى أن تدافع الصحراء عن نفسها و يُكتب لها النّصر على الإنسان ، ويسير إيقاع الرواية نحو النهاية إلى الموت ، وفي ذلك تأكيدُ رؤية الكاتب الفكرية بأن الحياة صراع ونهايات " (القواسمة، 2020) (20) .

11) حكاية زهرة (1998)

رواية (حكاية زهرة) للروائية اللبنانية حنان الشيخ (1945)، تنقسم إلى جزأين أساسيين عنونت الجزء الأول (نُدوب السلام)، أمّا الجزء الثاني (تيارات الحرب الجارفة) وتختلف شخصية زهرة في الجزء الأول عن زهرة في الجزء الثاني اختلافا جذريا .

هى رواية أقرب إلى الرواية السِيَرية تروي فيها قصة فتاة قاصر تعرضت لمشاهد عنيفة في صغرها ، حين رأت أمّها تتردّد على عشيقها في بيته وهي برفقتها ، مبرّرة خروجها من البيت بأنها ذاهبة في زيارة للطبيب، أو لأقاربها ، لكن كانت الطفلة زهرة توثّق ذلك في ذاكرتها المشوّهة، شاهدة على جريرة أمّها، فهي ترى وتسمع كل شاردة وواردة دون أن تتمكّن من البوح بشيء، بالمقابل كانت الفتاة تتعرّض إلى كلّ أنواع التعنيف من والدها ذي الطباع المتوحشة فهي بين ناريْن نار الوالد القاسي ونار الوالدة الخائنة .

12 نزيف الحجر (1990)

اشتغل الروائي الليبي العالمي إبراهيم الكوني (1948) ، على الأمكنة الأسطوريّة ففي رواية (نزيف الحجر) ، كانت تيمة الصحراء محور موضوعه ولكن هذه المرة في بُعدها الهُوياتي إذ تحاول هذه الرواية الحفر في عمق العلاقة الأزلية بين العناصر الثلاثة ، الإنسان والحيوان والمكان (الصحراء) ،في صراعهم من أجل البقاء في الحياة ، بطريقة أسطوريّة مشوّقة ، فيها يحلّ الإنسان في الحيوان ويحل الحيوان في الإنسان.

خـــاتـمـة :

وما نخلص إليه هو انحياز المستشرق آلن روجر للروائيين المشارقة وإهماله للروائيين المغاربة بشكل واضح باستثناء إبراهيم الكوني ربما لاحتكاكه بهذه المجتمعات فهو كثير التّردّد على مصر، ولذا استطاع أن يذكر عدد من الروائيين المصريين والفلسطينيين واللبنانيين والسوريين وكان من الأجدر له ألاّ يكتفي بما ذكره من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نماذج روائية قليلة عن المغاربة (الجزائر، تونس والمغرب) ،لأنّ في هذه المنطقة من العالم نشأت أوّل رواية كوميديّة عرفها الإنسان وهي رواية (الحمار الذّهبي) Metamorphoses لوكيوس أبوليوس Apulius ابن مدينة مداوروش (بسوق هراس) بالشرق الجزائريّ،والذي عاش في ظل الإمبراطورية الرومانية. ما بين عام 124 أو 125م، وتوفي حوالي عام 180م، يضاف إلى ذلك أنّ تألّق الرواية العالميّة اليوم كان للجزائر حضور فيه من خلال رائعة (دون كيشوت دي لامنشا) للكاتب الإسباني العالميّ ميغيل سيرفانتس (1547. 1616) ، أسير مدينة الجزائر بمغارة بحي بلوزداد لمدّة أكثر من خمس سنوات حاول فيها الفرار أكثر من مرّة ولم يفلح ، فقد عاش تجربة إنسانية قاسية كان لها تأثيرها على أحداث الرواية .

الإحـــــالات :

1- جورج لوكاتش، الرواية التاريخية ، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية الهامة، بغداد،ط1986،2،ص189

2- رشيد قريبع، الرواية الجديدة بين الأدبين والفرنسي والمغاربي،نظرة مقارنة،مجلة العلوم لإنسانية جامعة منتوري ، قسنطينة عدد21، 2004، ص68

3- نجيب العقيقي ،المستشرقون ،دار المعرف مصر ،ط4،القاهرة 1980،ج2،ص61]

4- وائل علي السيّد، المستشرقون وأثرهم في الدراسات العربية ، مكتبة الآداب القاهرة 2013،ط1، ص183

5- [https://sharqgharb.net/iedward-saed-wnqd-alastschraq بتاريخ 2020/07/27] إدوارد سعيد ونقد (الاستشراق) . مريم بنت حميد الغافرية

6- وائل علي السيد، المستشرقون في الدراسات الأدبية العربية ، م س ،ص186

7- روجر آلن، الرواية العربية،المشروع القومي للترجمة ،بيروت ، ،ص 18،19

8- ينظر :عبد الله العروي،الإيديولوجيا العربية المعاصرة ،دار الطليعة ، بيروت ،1970 ،ص240

9- وائل علي السيد ، م س ، ص188

10- الرواية العربي، م س ،ص 18،19

11- الرواية العربية ،م س ،ص22

12- الرواية العربية ،م س ،ص32

13- ينظر أيضا : ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ترجمة محمد براده،دار الفكر للدراسات والنشر ،القاهرة1987 ،ص9

14- زمن الرواية ، جابر عصفور ،دارالمدى،ط1دمشق1999،ص97

15- نقد الرواية العربية من منظور الاستشراق ، روجر آلن، أنموذجا ،علي محمد ياسين ، جامعة كربلاء،كلية العلوم الإسلامية ،مجلة دراسات استشراقية العدد التاسع عشر، 2019، ص183

16- م ن ،ينظر مثلا :ص107

17- م س ،ص118

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

18- عبد الله الركيبي ،تطور النثر الجزائري الحديث،(1930 . 1974)،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر1983 ،ص201

19- ينظر: م ن ، ص156/107

20- [https://www.addustour.com/articles/1153497 المرجعية الروائية لعبد الرحمن منيف ، محمد عبدالله القواسمه، بتاريخ 2020/07/27]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com